مجلة وعي للعلوم الإنسانية
Waai Journal for Hummanities
ISSN: 3104-9125
E-ISSN:3104-9117

مجلة وعي للعلوم الإنسانية

العدد الثالث/ ٢٠٢٦م، الصفحة: ١٢٣-١٤٨

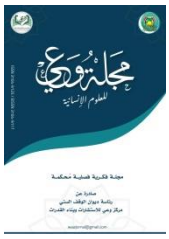

دور العقل واستخدامه عند المسلمين

The Role and Use of Reason among Muslims

م. د. أحمد إبراهيم علي

كلية القلعة الجامعة – أربيل

Assist. Prof. Ahmed Ibrahim Ali

Al-Qalaa University College – Erbil

الكلمات المفتاحية

العقل، الفلسفة، الفلاسفة، الحقيقة.

الملخص

إن الميزة الأساسية التى فضل الله بها الإنسان على سائر المخلوقات، أنه كائن عاقل أو مدرك، وقد حثّ القرآن الكريم الإنسان و دعاه إلى استخدام عقله وتفكيره، وليس باستطاعة اى مذهب أو مدرسة إنكار المعرفة العقلية. لكن هناك خلاف في طبيعة العقل وعلاقته بالحواس وحدود إدراكه وتقدير دوره في بناء المعرفة، ومن ثم دوره في مجال العقيدة في الإسلام، هل للعقل حدود خاصة فيما يتعلق بعالم الغيب أو المسائل الغيبية، أم أن دوره يشمل هذا المجال أيضاً كما يشمل عالم الشهادة؟

إنّ الفرضية التي تمّ البناء عليها في هذا البحث هي أنّه على الرغم من وجود دراسات تناولت هذا الموضوع، حيث قام علماء وباحثون مسلمون بالبحث عن دور العقل في المجالات المختلفة ومنها في مجال العقيدة كجزء من زكاة العلم، إلا أنّ هذا الموضوع يحتاج إلى البحث والدراسة بصورة أكثر دقة وشمولية، بغية التعرّف على آراء المذاهب الفلسفية الرئيسية: التجريبية والعقلية، ورؤية فلاسفة المسلمين في ذلك والتوصل إلى فهم صحيح من منظور قرآنى حول هذه القضية، لذلك نحاول دراسة هذا الموضوع المهم، وذلك بإعداد بحث مختصر بعنوان (دور العقل واستخدامه عند المسلمين). وبغية الوصول إلى النتائج

المرجوة، تمّ تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث بحسب أهمية الموضوع. الكلمات المفتاحيـــة: العقـــل، الفلســـفة، الفلاسفة، الحقيقة.

KEY WORD

Reason, Philosophy, Philosophers, Truth.

Abstract

The primary attribute through which God favored humanity over all other creatures is the capacity for reason and perception. The Holy Quran consistently exhorts and invites human beings to employ their intellect and contemplative faculties; thus, no philosophical school or doctrine can deny the validity of rational knowledge.

However, significant debates persist regarding the nature of the mind, its relationship with sensory perception, the boundaries of its cognition, and its role in epistemological construction, particularly within the framework of Islamic creed (Aqidah). A fundamental question arises: Does the intellect possess inherent limitations concerning the realm of the Unseen , or does its scope encompass metaphysical matters just as it pertains to the the realm of the Seen?

The hypothesis underpinning this research posits that, despite existing literature by Muslim scholars and researchers addressing the role of reason in various fields as a form of "intellectual zakat," the subject necessitates a more precise and comprehensive inquiry. This study aims to examine the perspectives of the major philosophical schools—Empiricism and Rationalism—alongside the views of Muslim philosophers to attain a correct understanding from a Quranic perspective. Consequently, this research, titled "The Role and Application of Reason among Muslims," investigates this critical issue. To achieve the desired objectives, the study is structured into three distinct sections based on thematic importance.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتـــدى بهديه إلى يوم الدين، و بعد:

كرّم الله الإنسان وفضّله على سائر المخلوقات بالعقل وبيّن منزلته في القرآن الكريم وأهميته، وقد حثّ القرآن الكريم الإنسان ودعاه إلى استخدام عقله وتفكيره، ولا يمكن إنكار المعرفة العقلية؛ لأنّ العقل مناط التكليف وأساسه وهو ميّزة الإنسان لأنه منشأ الفكر وله الفدرة على الإدراك والتدبّر وتصريف الحياة، إلا أنّ هناك خلافاً في طبيعة العقل وعلاقته بالحواس وحدود إدراكه وتقدير دوره في بناء المعرفة، ومن ثـــم

دوره في مجال العقيدة في الإسلام، هل للعقل حدود ودوره ينحصر في عالم الشهادة ولا يمكنه تجاوز هذا الحدود؟ أم أنّ للعقل دوراً فيما يتعلق بعالم الغيب أو المسائل الغيبية أيضاُ؟

للتعرف على آراء المذاهب الفلسفية الرئيسية: التجريبية والعقلية، ورؤية فلاسفة المسلمين في ذلك والتوصل إلى فهم صحيح من منظور قرآني حول هذه القضية، قمت بدراسة هذا الموضوع المهم، وقمت بإعداد بحث مختصر بعنوان (دور العقل واستخدامه عند المسلمين).

وأدعو الله أن ينفع القراء به وأن يساهم هذا الجهد المتواضع في تنقية التفكير ومعالجة النظرة الإجمالية لمفهوم العقل والكشف عن دوره واستخدامه عند المسلمين.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أن مسألة العقل ودوره في الفكر الفلسفي تعدّ من الدراسات التي لها أهميتها في مجال الفكر، وتزداد أهميتها في العصر الحالي.

وبغية الوصول إلى الحقيقة ينبغي تناول البحث في المسائل الفلسفية. لذا يحاول البحث التعرض لآراء الفلاسفة والمدارس الفلسفية حول دور العقل واستخدامه للوصول إلى الحقائق خاصة عند المسلمين، **وهو ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع.**

مشكلة البحث وأسئلته:

يناقش البحث مشكلة حل قضايا فلسفية ذات أهمية قصوى، والتي يتم من خلالها معرفة آراء الفلاسفة والمدارس الفلسفية حول دور العقل وحدوده واستخدامه، وعليه تكمن مشكلة البحث في السؤال الآتي: ما هو دور العقل وحدوده وما هي الطرق الموصلة إلى معرفة الأشياء عن طريق العقل؟ وكيف يتم حل هذه المشكلة لدى الفلاسفة والمدارس الفلسفية؟ يحاول هذا البحث الإجابة عن هذا السؤال وغيره مما يخص العقل ودوره في عالمي الشهادة والغيب واستكشافه.

الدراسات السابقة:

هناك كتب و دراسات تناولت موضوع العقل ودوره وآراء الفلاسفة والمدارس الفكرية والفلسفية حوله قديماً وحديثاً، مثل كتاب درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، إعداد ودراسة د. محمد السيد الجليند، وكتاب مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، وكتاب المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها للدكتور عبدالله بن محمد القرني، إلا أن هذا الموضوع يحتاج إلى البحث والدراسة بصورة أكثر دقة وشمولية.

منهج البحث:

المنهج المتبع في البحث: هو المنهج التأريخي والمنهج المقارن: بتناول تحليل آراء الفلاسفة والمدارس الفلسفية وعلماء الإسلام حول موضوع البحث، ومن ثم استقراء اعتمادهم على مصدرية العقل للمعرفة. فضلاً عن المقارنة بين آراء بعضهم البعض حول ذلك الموضوع.

هيكلية البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكوّن من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة نلخص فيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول: خصّص لبيان مفهوم العقل في اللغة وعند الفلاسفة، وتم تقسيمه إلى مطلبين، تناول الباحث في المطلب الأول مفهوم العقل في اللغة، ثم تناول العقل في الفلسفة في المطلب الثاني.

المبحث الثاني: وهذا المبحث يحمل عنوان "العقل كمصدر للمعرفة" مكون من ثلاثة مطالب، خصص الباحث المطلب الأول لتعريف العقيدة، وتم التطرق في المطلب الثاني إلى طبيعة العقل البشري وميدان العقيدة، وتمت دراسة الفطرة وعلاقتها بالأوليات العقلية في المطلب الثالث.

أما المبحث الثالث: فقد خصص لمناقشة دور العقل وحاجته إلى هدي النبوة، مقسم هو الآخر إلى مطلبين، تناول الباحث في المطلب الأول استخدام العقل للبحث عن الحقيقة وحدود إدراكه في القضايا الفكرية، وخصص المطلب الثاني لمناقشة حاجة العقل الإنساني إلى هدي النبوة.

والخاتمة: تتضمن خلاصة البحث وأهمّ استنتاجاته.

المبحث الأول: مفهوم العقل في اللغة وعند الفلاسفة

قبل التطرق إلى المواضيع الرئيسة حول موضوع الدراسة، لابد أن نتناول أولاً مفهوم العقل في اللغة وعند الفلاسفة.

المطلب الأول: العقل في اللغة

تدل مادة "العقل" في اللغة العربية على حالة إمساك وحبس وتقييدٍ.

قال الراغب الأصفهاني: وأصل العقل الإمْساكُ والإستِمساكَ كَعَقْلِ الْبَعِيرِ بالعِقالِ وَعَقْلِ الدّواءِ الْبَطْنَ وعَقَلَتِ الْمَرْأةُ شَعْرَها وعَقَلَ لِسانَةُ كَفَّهُ[١].

وجاء العقل بمعنى العلم، قال الفيروز آبادي في (القاموس المحيط): العقل: العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها[٢].

فالعقل حبس أو منع، ومنه عقال البعير الذي يمنعه من الإنفلات، ويأتي العقل بمعنى الملجأ، والْمَعْقِلُ: اَلْمَلْجَأُ[٣] الذي يلجأ اليه الناس فيمنعهم من عدوهم والمخاطر التي يتعرضون لها.

وعلى هذا الأساس سمى العرب ما في الإنسان عقلاً، لأنه يمنعه من أشياء لولاه لانساق إليه الإنسان.

قال الجرجاني عن العقل: إنه: (جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله، وقيل العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الإنسان)[٤].

والفيروز آبادي قال عنه أيضاً: (والحق أنه نور روحاني، به تُدرك النفسُ العلوم الضرورية والنظرية).[٥]

---

(١) الراغب الأصفهاني – الحسين بن محمد المفضل أبو القاسم الأصفهاني – معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢م، ص ٣٥٢.

(٢) الفيروز آبادي – مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – القاموس المحيط، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، ص ٨٩٦.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري – معجم الصحاح، دار المعرفة ، بيروت، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥، ص ٧٢٧.

(٤) الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني – التعريفات، ط٢، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ١٣٦٦ هـ.ش، ص ٦٥.

أما الراغب الأصفهاني، فيقول: (العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للذي يستنبطه الإنسان بتلك القوة عقل)[٦].

والذين عرّفوا العقلَ من العلماء المسلمين بأنه جوهر، لم يقصدوا بجوهرية العقل مفارقته للمادة وقيامه مستقلاً بنفسه كالعقل الفعّال في الفلسفة اليونانية، بل أرادوا بيان اختلاف فعله عن فعل الأعضاء المادية في الإنسان كالسمع والبصر والحس، كما أنهم قصدوا من تجرد العقل عن المادة سبق مبادئه المدركات الحسية، ولذلك يجعلون فعله مقترناً بالمادة.

وجاء العقل في القرآن الكريم بهذا المعنى في مشتقاته ومرادفاته مركزا قيمته في أفعاله التي تصدر من قبل أصحاب تلك العقول[٧].

إنّ العقل هو القوّة في الإنسان التي تدرك الحقّ وتُميّزه عن الباطل. وقد استقرّ عند معظم العلماء المسلمين "أنّ تلك القوّة التي يُطلق عليها اسم (العقل) هي المبادئ الفِطرية التي يكون بها العلم، ولا يكون من دونها؛ كمبدأ السببيّة، ومبدأ عدم التناقض، ومبدأ الكلّ أكبر من الجزء، وهو ما جاء في تعريف إمام الحَرَمين للعقل؛ إذ قال: (العقل) علوم ضرورية بتجويز الجائزات، واستحالة المستحيلات؛ كالعلم باستحالة اجتماع المتضادّات، والعلمِ بأنّ المعلوم لا يخلو عن النفي والإثبات، والعلمِ بأنّ الموجود لا يخلو من الحدوث أو القِدَمِ"[٨].

---

(٥) الفيروز آبادي – المرجع السابق، ص ٨٩٦.

(٦) الراغب الأصفهاني – المرجع السابق، ص ٤٥٤.

(٧) د. عبد الرحمن بن زيد الزنيدي – مصادر المعرفة في الفكر الديني و الفلسفي، مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م، ص ٣٠٢.

(٨ موسوعة المصطلحات الإسلامية، تأصيل وضوابط، مجموعة باحثين، الجزء الرابع، ط١، دار الأصالة للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة، إسطنبول/ تركيا، ١٤٤٥هـ – ٢٠٢٣م، ص ٢٠١.

المطلب الثاني: العقل في الفلسفة

العقل عند الفلاسفة اسم مشترك يدل على ثمانية معان مختلفة: العقل بالمعنى العامي البسيط الذي يريده المتكلمون والعقل النظري، والعقل العلمي، والعقل الهيولاني، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد، والعقل الفعّال(١).

ويغلب علي النظرة الفلسفية إعتبار العقل جزاءً من النفس، تسميها النفس الناطقة، كاحدى قوتي النفس الناطقة، وتقابل قوة النفس الحاسة(٢).

فالمذاهب الحسية تنظر إلى النفس نظرة مادية إذ هي جسمية ومن ثم فإن نظرتهم إلى العقل نظرة مادية فهو جسم وفعله جسمي كذلك، وأفكار العقل وإن كانت لاجسميات إلا أنها أفعال لأجسام، والعقل في نظرة الفلسفة التجريبية الحديثة لدى جون لوك مثلاً"عنصر أولي بسيط التكوين لا يتجزأ ولا يتحلل كما هو الشأن في الشيء المادي إلا عند الموت"(٣).

أما المذاهب العقلية فإنها تنظر إليه على أنه جوهر، فمثالية أفلاطون تنظر إلى النفس على أنها من طبيعة عالم العقل أو عالم المثل المفارق للمادة(٤).

والعقل عند هيجل هو الهوية بين الفكر والوجود. ويميز كانت بين العقل والذهن، والعقل ملكة المعرفة العليا، والمباديء، والإستنباط، والتفكير في موضوعات العيان الحسّيّ، وأما الذهن Verstand فينحصر عمله في التهيئة للعقل، وعند هايدجر فإن العقل عمله الفهم، والفهم هو كل حياة الإنسان، وهو التعبير عن كامل وجوده(٥).

مجلة وعي للعلوم الإنسانية
Waai Journal for Humanities

(١) د. عبد المنعم الحفني – المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٥٣٧.
(٢) د. راجح عبد الحميد الكردي – نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ط١، مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢، ص ٦٠١.
(٣) المرجع السابق، ص ٦٠١ – ٦٠٢.
(٤) المرجع السابق، ص ٦٠٢.
(٥) د. عبد المنعم الحفني – المرجع السابق، ص ٥٣٧.

وحارب أرسطو المادّيين في اعتبار العقل نوعاً من الحواس، وقال: إن العقل الذي هو عقل – عاقل ومعقول معاً، ومعقول لذاته في نفس الآن، إنما هو جوهر، أي أن فكر الفكر جوهر، والجوهر معناه الوجود القائم بالذات. فكأن هذه خطوة أيضاً في عدّ الوجود والفكر شيئاً واحداً[١].

قال الراغب الأصفهاني – بعد أن قسم العقل إلى غريزي ومكتسب –: (وكل موضع ذم الله الكفار فيه بعدم العقل فإشارة الى الثاني دون الأوّل)[٢] نحو: **(وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ)** إلى قوله: **(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)**[٣].

أما النوع الثاني: فهو العقل الفعال، وهو مفارق للمادّة، أزلي، وكان أرسطو هو أول من قال بالعقل الفعال، وقد جاء فكرته عنه كما يقول الدكتور عبدالرحمن بن زيد الزنيدي [٤] غامضة، إذ لم يحدد خصائص لهذا العقل الذي اعتبره مفارقاً للمادة، بل إن قوله به يناقض فلسفته التي لا ترى للنفس وجوداً مبايناً للمادة، فوجودها لا يكون إلا مع البدن.

أما الفلاسفة المسلمون، فقد ساروا كذلك على المنهج الفلسفي في إعتبار العقل جزء النفس المدركة. فقد جعله ابن سينا العقل النظري في الإدراك الذي يقابل العقل العملي في الأخلاق وظيفة للروح الإنسانية، بناءً علي أن الإنسان مزدوج في طبيعته فهو جسم وروح[٥]. والعقل عند ابن باجّة قوّة خاصّة بالإنسان، وهو يتميّز بالقوّة الناطقة أو العقل عمّا عداه من الكائنات الحية، فالإنسان – كما يرى ابن باجّة – يمتاز عن الأصناف جميعها بالقوّة الفكرية، وهو ما لا يكون إلا بها [٦]. والعقل موهبة موهبة إلهية، وهو جوهر بسيط غير مرئي، إلا أننا نرى تأثيره من حيث هو قوّة مدركة لحقائق الأشياء، فلا نرى العقل بذاته، بل مع غيره، كما نرى الشمس ونحن في الماء ثم نراها ونحن في الهواء[٧].

لكن حاول بعض الفلاسفة المسلمين إيجاد محل لهذا العقل في الثقافة الإسلامية، بإلباسه لباساً شرعياً؛ فكان الفارابي يسميه: الروح الأمين، وروح القدس، كما يرى الغزالي أن النص ورد عليه

(١) د. عبد الرحمن بدوي – موسوعة الفلسفة، ج١، منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٢٧ هـ، ص ٢٠٢.
(٢) الراغب الأصفهاني – المرجع السابق، ص ٣٥٤.
(٣) سورة البقرة، الآية (١٧١).
(٤) المرجع السابق، ص ٣٠٦ – ٣٠٧.
(٥) د. راجح عبد الحميد الكردي – المرجع السابق، ص ٦٠٣.
(٦) تدبير المتوحد ضمن رسائل ابن باجّة الإلهية، ص٤٥.
(٧) رسالة الوداع ضمن رسائل ابن باجّة الإلهية، ص١٣٩.

جلياً في قوله تعالى: (**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**)[١]، لأنه يجعل الملك عقلاً، بحكم تجرّده عن المادة، وأن منه تفيض المعرفة على عقل الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعقول من شاء الله، ومن أخذ منهم بالعقول المفارقة الأخرى قالوا: إنها الملائكة، وكان الفارابي يسميها بذلك، والأفلاك التي ذكرت الفلسفة اليونانية أنها مقار هذه العقول يسميها: الملأ الأعلى[٢].

ورفض علماء السلف هذا التوفيق، كإبن تيمية، الذي كشف الخلط بين نظرية العقل لدى اليونان، وما جاء به الشرع في هذا الشأن[٣].

وفي الفلسفة الإسلامية، نأخذ تعريف العقل من ممثلي هذه الفلسفة الحقيقيين –كما يقول الدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي – علماء أصول الفقه؛ الذين عرّفوا العقل بأنّه: قوّة غريزية للنفس تتمكّن به من إدراك الحقائق والتمييز بين الأمور[٤].

وعموماً كان المعتزلة يقدّمون العقل على الشرع، أما الأشاعرة وأهل السنة فهم لا يقدّمون العقل على الشرع، فمن جهة يقولون بتقديم الشرع على العقل، ومن جهة أخرى يجعلون العقل مدخلاً في فهم الشرع، وبذلك يؤكّدون إفتقار أحدهما إلى الآخر.

المبحث الثاني: العقل كمصدر للمعرفة

نتناول في هذا المبحث طبيعة العقل البشري وميدان العقيدة، وآراء المذاهب الحسية والعقلية وكذلك آراء فلاسفة الإسلام حول العقل البشري كمصدر للمعرفة، ونبدأ بتعريف العقيدة.

---

(١) سورة النجم، الآية (٥).

(٢) ينظر: الدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي – المرجع السابق، ص ٣٠٤– ٣٠٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠٥.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٠٧ – ٣٠٨. يعتقد الشيخ مصطفى عبدالرازق أنّ الفلسفة في الإسلام ينبغي أن تطلب من علم علم أصول الفقه أكثر من علم الكلام، ويرى أنّ " الإجتهاد بالرأي في الأحكام الشرعية هو أوّل ما نبت من النظر العقليّ عند المسلمين، وقد نما وترعرع في رعاية القرآن، ونشأت منه المذاهب الفقهية وأينع في جنباته علم فلسفي هو علم أصول الفقه". مصطفى عبدالرازق – تمهيد لتأريخ الفلسفة الإسلامية، ط١، دار الكتاب المصرى، القاهرة و دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، ص١٨٥.

المطلب الأول: تعريف العقيدة

العقيدة: مؤنث عقيد على وزن فعيل، وفعله عقد، بمعنى شدَّ وأحكَمَ، يقال: عَقَدَ الْحَبْلَ والْبَيْعَ والْعَهْدَ يَعْقِدُهُ: شَدَّهُ[١]. وشدَّ قلبه على كذا: شدَّ عليه قلبَه فلا ينزع عنه. والعقائد ما يقصد فيه نفس الإعتقاد دون العمل[٢].

وهي الحكم الذهني الجازم أو الراجح الذي لا يقبل الشك لصاحبه فيه، والعقيدة أيضاً هي: النظرية التي تقرها السلطة ويلتزم بها الأفراد الواقعون تحت سلطانها، أو هي المبدأ الذي يقوم عليه المذهب ويسلم معتنقوه بصحته ابتداءً كنوع من الإيمان، ولذلك ارتبطت العقيدة بالدين لتعني ركن الدين، كما نقول: العقيدة الإسلامية ونقصد بها أركان الإسلام[٣].

وبعبارة أخرى يمكن التعبير عن معنى العقيدة بأننا نعتقد بوجود أشياء كثيرة من ذوات وصفات (أو جواهر وأعراض)، ونجد قلوبنا مطمئنة بما نعتقد به ليس فيها أدنى شك، كاعتقادنا بوجود ذواتنا وصفاتنا، وكاعتقادنا بوجود الأرض والسماء، ولو جاءنا الناس كلهم يحاولون تشكيكنا فيما نعتقد به لم يؤثّروا بنا أي أثر. فمتى بلغ شعورنا بالشيء إلى حدّ أصبح يحرك عواطفنا ويوجه سلوكنا حمل اسم (العقيدة)[٤].

ومن ثم فالعقيدة أخص من الإيمان – عند أهل السنة – لأنّه يشمل إضافة إلى اعتقاد الجنان قول اللسان وعمل الأبدان، فالعقيدة إذن هي ما يتدين به الإنسان من تصور لما وراء عالم الشهادة كتصوره لبداية العالم ومصيره وقضايا الإلهية وباقي العوالم الغيبية، والعلاقات بينها وبين الإنسان[٥]. ومن أبرز قضايا العقيدة: الإلهيات والنبوات والغيبيات.

---

(١) الفيروز آبادي – القاموس المحيط – المرجع السابق، ص ٨٩٣.

(٢) الجرجاني – التعريفات – المرجع السابق، ص ٦٦.

(٣) د. عبد المنعم الحفني – المرجع السابق، ص ٥٤٢.

(٤) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني – العقيدة الإسلامية وأسسها، انتشارات صبا، طهران، دون سنة الطبع، ص ٣٢ – ٣٣.

(٥) د. عبد الرحمن بن زيد الزنيدي – المرجع السابق، ص ٣٧٠– ٣٧١.

المطلب الثاني: طبيعة العقل البشري وميدان العقيدة

١- يرى المذهب التجريبى أو الحسي أو المادي أن العقل إنما هو الحس أو التجربة أو أحد معاني التجربة، وانعكاس الواقع المادي على الدماغ المادي والعقل يرجع إلى الحواس الظاهرة والمخيلة التى هي الوسيلة الوحيدة عندهم للمعرفة.

فالعقل عند الحسيين أو التجريبيين صحيفة بيضاء تطبع الحواس عليها آثارها. وإن قام العقل بعمل يعمل كالتأمل والتنظيم فإنما يقوم بذلك وهو معتمد كلياً على التجربة أو الإحساس(١).

وكان من دعاة هذا المذهب كل من فرنسيس بيكون (ت ١٦٢٦م)، وجون لوك (١٦٣٢ – ١٧٠٤م) وديظيد هيوم (١٧١١ – ١٧٧٦م).

٢- أما المذهب العقلي، فهو يقدس العقل ويعتبره الأهم وإليه ترجع المعرفة.

فأفلاطون يرى أن أصل المعرفة وطريقها هو التعقل المحض(٢)، وجعل أرسطو أساس المعرفة راجعاً إلى المقدمات الأولية الضرورية التي لا تفتقر إلى البرهان، أما ديكارت فقد أرجع المعرفة إلى أول معرفة يقينية يستطاع الحصول عليها، وتعود هذه القضية إلى النفس التي لها وحدها ملكة الوعي أو التفكير، وهي قضيته الواضحة المتميزة (أنا أفكر فأنا موجود)(٣). فديكارت – أبو العقلانية المعاصرة –، الذي هبّ – كما يقال – لإنقاذ العقل من السلطة الدينية ممثلة في الكنيسة آنذاك، حيث رفضها مصدراً للمعرفة، عاد فنحى حقائق الوحي عن مجال العقل، لأن هذه الحقائق لا يمكن إدراكها إلا عن طريق الوحي، ولكن أتباع ديكارت رفضوا هذا الرأي لديكارت، ومن أبرزهم سبينوزا الذي "اصطنع منهج فلاسفة العصر العباسي، باعتبار العقل كافياً عن الوحي للفلاسفة، بل هو أوثق منه.."(٤).

وكانت (١٧٢٤ – ١٨٠٤م) الذي لاحظ على معاصريه مغالاتهم في الإعلاء من قدرة العقل حيث تصوروا أنّ بإمكان العقل الإنساني أن يصل في معارفه اليقينية إلى ما لا نهاية له وأن بامكانه تجاوز

---

(١) د. راجح عبد الحميد الكردي – المرجع السابق، ص ٦١٥.

(٢) يوسف كرم – تأريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، دون سنة الطبع، ص ٦٩.

(٣) د. راجح عبدالحميد الكردي – المرجع السابق، ص ٥١٥.

(٤) د. عبد الرحمن بن زيد الزنيدي – المرجع السسابق، ص ٣٧٩ – ٣٨٠.

هذا العالم المحسوس ليصل في معارفه إلى ما وراء هذا العالم، وأكد أن للعقل الإنساني حدوداً ينبغي ألاّ يتجاوزها وإلا غاب اليقين وضاعت الحقيقة(١).

أما الفلاسفة المسلمون، فهم يرجعون المعرفة إلى المعارف العقلية الأولية، ويعتبرون العقل جزء النفس المدركة. فقد جعله ابن سينا العقل النظري في الإدراك الذي يقابل العقل العملي في الأخـــلاق وظيفة للروح الإنسانية بناءً على أن الإنسان مزدوج في طبيعته فهو جسم وروح. والفلاسفة المسلمون يبنون نظرتهم للعقل على نظرتهم للنفس وكيفية خلقها، فهو فيضي إشراقي عند الفارابي وابن ســينا وقائم على نظرية الإتصال كما عند ابن رشد(٢).

وكان المتكلمون يرون أن العقل سبب للعلم والمعرفة(٣)، وكانوا يردون علـــى السوفســطائيين (*) الذين يعترفون بوجود العقل ولكنهم ينكرون معارفه العقلية وحقائقه العلمية ولا يقيمون له وزناً فـــي إدراكاته، بل يشكون في إمكان المعرفة عن طريق العقل.

وذهب الإسماعليون أن النظر غير كاف في اكتساب المعرفة، وقالوا: لابد من معونة معلّم إلهـــي وهو الإمام المعصوم لابد من الرجوع اليه لاكتساب المعارف.

وذهب بعض آخر، وهم المتصوفة إلى أنّ الإلهام طريق المعرفة وليس العقل.

وفنّد العقلانيون دعوى هؤلاء وبينوا زيفها، وأبطلوا حججها وأثبتوا فسادها وبعدها عن الحقيقـــة والواقع. فرد ابن حزم دعوى القائلين بان الإلهام طريق المعرفة وليس العقل، لأن الإلهـــام دعـــوى

---

(١) د. مصطفى حسن النشار – أعلام الفلسفة حياتهم ومذاهبهم، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعـــة، عمـــان، ١٤٣٢ هـــ – ٢٠١١م، ص ٢٦٢.

(٢) د. راجح عبد الحميد الكردي – المرجع السابق، ص ٦٠٣ – ٦٠٤.

(٣) ينظر: التفتازاني، سعدالدين التفتازاني – شرح العقائد المحشّى، ط ٢، انتشارات سيديان، مهابـــاد، ١٣٥٢ هـــ ش، ص ٣١ – ٣٢.

(*) السوفسطائيون جماعة من فلاسفة اليونان القدامى في القرن الخـــامس قبـــل المـــيلاد. ومـــن أشـــهر السوفســـطائيين المشهورين: ضورضياس، وبروديكوس، وهيبياس. أنظر: د. عبدالمنعم الحفني– المعجم الشامل لمصطلحات الفلســـفة – المرجع السابق، ص ٤١١– ٤١٢.

مجردة من الدليل. كما أن الغزالي بيّن فساد مذهب الإسماعلية في كتابه (القسطاس المستقيم)[١]، وكذلك في كتابه (فضائح الباطنية).

لقد وصف الغزالي العقل في (الإحياء) وصفاً دقيقاً مسهباً، فقال: (العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه)[٢].

فبالنسبة لطبيعة العقل، لا يماري أحد بأن الفلسفة الميتافيزيقية والعلوم العقدية علوم نظرية، تكونت نتيجة جهد فكري بذله العقل، منطلقاً من علومه الضرورية التي تقوم على الأوليات العقلية وهي التي تتمثل بالفطرة في الإنسان، فالمعرفة العقلية تقوم علي:

أ – العلوم الضرورية.

ب – المنهج الفكري الذي سلكه العقل في الوصول إليها[٣].

وقد تعرضت مناهج العقل التي اصطنعها الإنسان لنفسه واستخدمها للوصول إلى الحقائق إلى النقد، خاصة فيما يتعلق بالمسائل الغيبية، وقد وقع كثير من أصحاب هذه المناهج والمذاهب العقلية في الحيرة والإضطراب، بل وتراجع كثير من الفلاسفة عن هذا الطريق في أخريات حياتهم. وكان سقراط أول من أوضح هذه الحقيقة حينما قال في أخريات حياته: (لا أعرف سوى شيء واحد وهو: أنني لا أعرف شيئاً)[٤].

ولهذا إعترف كثير من الفلاسفة بأن المصدر الرئيس لمعرفة المسائل الغيبية هو الوحي المنزل من عند الله ولا يمكن للعقل أن يستقل بهذا الميدان دون الإستعانة بالوحي الإلهي.

---

(١) د. رشدي محمد عليان و د. قحطان عبدالرحمن الدوري – أصول الدين الإسلامي، ط٢، دار الإمام الأعظم النعمان بن ثابت، بيروت، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م، ص ١٥٠ – ١٥١.

(٢) الامام أبو حامد الغزالي – القسطاس المستقيم، ط٤، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٧، ينظر: مقدمة ظيكتور شلحت على الكتاب، ص ١٨.

(٣) د. عبد الرحمن بن زيد الزنيدي – المرجع السابق، ص ٣٨٢.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٣٨٩.

المطلب الثالث: الفطرة وعلاقتها بالأوليات العقلية

تنكر المدرسة الواقعية فطرية الأفكار أو المبادىء الأولية، بمعنى انها ثابتة ومخلوقة مع الإنسان ومفطورة في النفس البشرية. فهي تنكر أن يكون العقل بفطرته مصدراً لهذه الأفكار سواء في مجال التصور أو التصديق، وإنما الحس أو التجربة هو المصدر الرئيسي لهذه الأفكار.

ونجد (جون لوك) في الفلسفة التجريبية الحديثة يصرح بأن أي فكرة تتولد في الذهن إنما ترجع إلى مصدر واحد فقط وهو التجربة أو الخبرة. فالإنسان يولد وعقله يشبه الصفحة البيضاء الخالية من أي معان أولية أو أفكار فطرية(١).

وتنكر الماركسية فطرية الأفكار والمباديء الأولية، والفكر الماركسي يعطي الأولوية للجانب المادي والعقل في نظر أنصاره إنعكاس للواقع الموضوعي وأداة مادية تعكس المؤثرات الخارجية ثم التأثر بها، ولكنه هو في ذاته ليس حقيقة فعالة مؤثرة! إذن كل إدراك يرجع إلى إنعكاس لواقع معين ويحصل هذا الإنعكاس عن طريق الإحساس(٢).

فسرت الفطرة بتفسيرات، منها: قيل هي الإلهام للإيمان والكفر، أي مثل قوله تعالي: **(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)**(٣). وقيل هي المعرفة، أى معرفة الله والإقرار بربوبيته. وفطرة الله هي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان وهو المشار إليه بقوله: **(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)**(٤). وقيل هي الخلقة التي يولد عليها كل مولود، من فَطَرَ بمعنى خَلَقَ، وفي الحديث: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه) (رواه البخاري ومسلم). أي يولد على هيئة ليس فيها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة.

فالفطرة هي الجبلة المتهيّئة للدين، وقيل هي البدأة التي أبدأ الله عليها الناس، وهي الإسلام من قوله تعالي **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**

---

(١) د. راجح عبد الحميد الكردي – المرجع السابق، ص ٣١٠ – ٣١١.

(٢) د. أحمد إبراهيم الورتي – مشاريع الإصلاح في الشرق الأوسط بين طموحات الشعوب ومصالح الدول الكبرى دراسة تحليلية مقارنة، دار الزمان، دمشق، ٢٠١٢، ص ٧٩ – ٨٠.

(٣) سورة الشمس، الآية (٨).

(٤) سورة الزخرف، الآية (٨٧).

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[١]، أي أنه تعالى فطر الناس وخلقهم على معرفته، فالدين كالغريزة في الإنسان. والقول بالفطرة من الفلسفة الإسلامية، والإسلام دين الفطرة[٢].

قال ابن تيمية: (وأصل الدين الذي فطر الله عليه عباده..يجمع أصلين: أحدهما عبادة الله وحده لا شريك له، وإنما يعبد بما أحبه وأمر به، وهذا هو المقصود الذي خلق الله له الخلق، وضده الشرك والبدع. والثاني: حل الطيبات التي يستعان بها على المقصود، وهو الوسيلة، وضدها تحريم الحلال)[٣].

وتطلق الأوليات على قسم من المقدمات اليقينية، وتسمى بالديهيات، وهي قضايا ومقدمات توجب التصديق بها من غير سبب إلا ذواتها. وقد تطلق على الضروريات أيضاً باعتبار أن الضروريات أوائل العلوم[٤].

أمّا بالنسبة لعلاقة الفطرة بالأوليات العقلية والمبادئ الأولية، نورد هنا ما قاله الدكتور عبدالرحمن بن زيد الزنيدي في هذا الصدد: (فإما أن يقال: إن هذه الفطرة الدينية تمثل جزءاً من هذه المبادئ والأفكار الأولية، بل هي أوضح أجزائها، أو أن هذه المبادئ هي قاعدتها التي تقوم عليها بحكم أنها حق وما تؤدي إليه حق.

فالمعرفة الدينية فطرية ضرورية على الحالين، سواء قيل إنها فطرية بنفسها، أو قيل إنها تحصل بأسباب كالأدلة التي تنتظم في النفس، فإن النفس بفطرتها قد يقوم بها من النظر والإستدلال ما يحتاج معه إلى كلام أحد.. وبهذا نعلم، أن هذه النزعة الفطرية الدينية، أبعد مدى من الغريزة الدينية، التي يتكلم عنها علماء الإجتماع، ويؤكدون إشتراك كل الأجناس البشرية فيها، وأصالتها في النفوس، لأن هذه الغريزة لا تتجاوز – حسب قولهم – الإهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة.. أما الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فإنه لا يمكن الوفاء بحقّها إلا بالدين الحق الذي جا به محمد (صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)..)[٥].

---

(١) سورة الروم، الآية (٣٠). ينظر: الراغب الأصفهاني – المرجع السابق، ص ٣٩٦.

(٢) د. عبد المنعم الحفني – المرجع السابق، ص ٥٩٥ – ٥٩٦.

(٣) ابن تيمية – درء تعارض العقل والنقل، إعداد ودراسة د. محمد السيد الجليند، ط١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م، ص ٢٥٨ – ٢٥٩.

(٤) د. عبد المنعم الحفني – المرجع السابق، ص ١٣٣.

(٥) نقلا عن الدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي – المرجع السابق، ص ٣٤٧ – ٣٤٩.

وفي ختام هذا المطلب، أخلص رفضنا لما ذهب إليه المذهب العقلي في فهمه وتفسيره لفطرية الأفكار الأولية، ولما ذهب إليه المذهب التجريبي القائل بإرجاعها إلى الحس وحده، ونرتضي تعبير القرآن عن هذه القضية: **(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**[١]. ففي الآية تنبيه إلى قاعدتين مهمتين[٢]:

القاعدة الأولى: المعرفة كلها بديهية ونظرية طارئة على الإنسان ومخلوقة له بعد ولادته، فلا فطرية لها بمعنى أنها مخلوقة فيه قبل الولادة.

القاعدة الثانية: جعل الله سبحانه مهمة المعرفة منوطة بالحواس وبالعقل، ولم يجعلها مقتصرة على أحدهما، فالعقل بنضجه يدرك بالحدس قضايا أولية ومن خلال تعامله بالواقع المحسوس يقدم له الحس معطيات يستنتج منها بالإستقراء وبالتعامل مع الواقع قضايا أولية كذلك.

المبحث الثالث: دور العقل وحاجته إلى هدي النبوة

نتناول في هذا المبحث دور العقل واستخدامه للبحث عن الحقيقة وحدود إدراكه في القضايا الفكرية، وحاجة العقل إلى هدي النبوة.

المطلب الأول: إستخدام العقل للبحث عن الحقيقة وحدود إدراكه في القضايا الفكرية والعقدية

إن القرآن الكريم يحث الإنسان على التفكر والتعقل واستخدام عقله للحصول على المعرفة. والإنسان يولد ومخلوق معه الإستعداد للمعرفة أو الشعور بالذات. والحس والعقل يشتركان معاً في تكوين المعلومات الأولية.

يقول ابن خلدون في (مقدمته) إن الله تعالى ميّز الإنسان عن الحيوانات بالفكر الذي جعل له، يوقع به أفعاله على انتظام وهو العقل التمييزي أو يقتنص به العلم بالآراء والمصالح والمفاسد من أبناء

---

(١) سورة النحل، الآية (٧٨).

(٢) د. راجح عبد الحميد الكردي – المرجع السابق، ص ٣٢١.

جنسه، وهو العقل التجريبي، أو يحصل به في تصور الموجودات غائباً وشاهداً، على ماهي عليه، وهو العقل النظري(١).

فلا نشك نحن في طبيعة العقل، لأن الله أوجد هذه الطبيعة ليتمكّن الإنسان من معرفة الأشياء التي يحقق من خلالها خلافة الله في الأرض بعبادته، واستثمار الخيرات المسخرة له. بيد أن العقل وإن كان باستطاعته معرفة كثير من الأشياء على وجه صحيح، لكن هناك أشياء أخرى لا يستطيع معرفتها، لأنها تتجاوز حدود طاقته.

فالعقل مقيد بعالم الحس أو الشهادة، لأن (القوة العاقلة فينا التي تجمع بين المصورة والذاكرة والمخيلة والذاكرة، تقدم بعملها الجبار في التحليل والتركيب، والجمع والتفريق، واستنتاج القواعد العامة والكليات، وقياس الأشباه والنظائر على بعضها، بعد أن تنقل الحواس المختلفة إلى المصورة أشرطة مشاهداتها في الكون: شريط المرئيات، وشريط المسموعات.. ثم تكون أحكامها مقيدة بحدود هذه الأشياء التي جاءتها عن طريق الحس. وهذه القوة العاقلة فينا لا تستطيع أبدا أن تصدر أحكامها على مغيبات لم يعرض أمامها شريط مسجل عنها، لأن كل حكم تحكم به إنما تقوله متأثرة بواقع أشرطة الحواس التي جاءتها. وقد يختلف عالم الغيب عن عالم الحس كل الإختلاف فلا يمكن الحكم عليهما بالتشابه، والقاعدة الثابتة عند العلماء: (أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره). فعالم الغيب لا تستطيع عقولنا أن تحكم على شيء فيه بإثبات أو نفي استقلالاً ذاتياً، إلا أن يأتيها خبر يشهد العقل بإمكان وجوده وبصدق ناقله وعند ذلك تسلم بمضمونه تسليماً تاماً دون مناقشة أو إعتراض)(٢).

فالعقل يدرك الأشياء التي كما هي تظهر له، وعاجز عن معرفة كنهها وحقيقتها النهائية. ويعترف علماء الطبيعة أن كثيراً من الحقائق لا نستطيع أن ندركها كما ندرك الأشياء المحسوسة، وإنما نعرفها عن طريق الإستنباط والتعليل، وكلاهما طريق فكري نبتدئ فيه بواسطة حقائق معلومة حتى تنتهي إلى أن الشيء الفلاني يوجد هنا مع أننا لم نشاهده مطلقاً، فلا نستطيع أن نوصف وضعيته، يقول (السير آرثراد نجتن – ١٩٤٤م) : (نجد لكل شيء صورة ذات وجهين أحدهما ملحوظ، والآخر صورة فكرية لا سبيل إلى مشاهدتها بأي ميكروسكوب أو تلسكوب)(٣).

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون – مقدمة ابن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م، ص ٥٦٧.

(٢) عن: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني – المرجع السابق، ص ١٩.

(٣) د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي – المرجع السابق، ص ٤١٣.

يقول العلامة ابن خلدون:(لا تثقنَّ بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها، والوقوف على تفصيل الوجود كله، وسفّهْ رأيه في ذلك.. وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال.. ولكن للعقل حدّ يقف عنده، ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه، وتفطّن في هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في امثال هذه القضايا، وقصور فهمه واضمحلال رأيه)[١].

وبعد أن بين بأن العقل الصريح في دلالته على المراد لا يمكن أن يخالف النقل الصحيح الثابت، لأن العقل والنقل وسيلتان لغاية واحدة هي الوصول إلى الله تعالى، لذلك لا يمكن أن تتعارض، أوضح ابن تيمية بأنه يجب تقديم الشرع عند مظنة التعارض:(إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبربه، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل)[٢].

وعموماً فإن العقل محجوب عن إدراك ذات الله عزوجل، وحيقة عالم الغيب وتفاصيله، فهو إذن عابد لله في عالم الشهادة بالنظر والإستدلال، وفي عالم الغيب بالنظر والإستدلال على مبدء وجوده بالتسليم التام والتلقي من الوحي في تفاصيله.

المطلب الثاني: حاجة العقل الإنساني إلى هدي النبوة

إن الفلسفة لم تستطع تحقيق شيء في الوصول إلى الحقيقة لمسائل ما وراء الطبيعة، لأن عماد الفلسفة في المسائل الميتافيزيقية هو العقل، والعقل عاجز في هذا الميدان، إذن يحتاج العقل الإنساني إلى هدي النبوة. لذلك نرى أكثر من قدس العقل وهم المعتزلة لم يجعلوا في العقل كفاية عن النبوة، بل جعلوا النبوة واجباً يقتضيه العقل بناءً على مذهبهم في أن الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل[٣].

(١) يوحنا قمير – ابن خلدون، ط٤، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٩٤ – ٩٥.
(٢) ابن تيمية – درء تعارض العقل والنقل – المرجع السابق، ص ١٠٤.
(٣) د. راجح عبد الحميد الكردي – المرجع السابق، ص ٧١٢.

والموجودات الغيبية منها ما يمكن الإستدلال على وجودها بالعقل، ومنها ما لا يمكن الإستدلال عل وجودها بالعقل، وهذه إنما يثبت العلم بها بدلالة الوحي أو الخبر الصادق(١).

إن الوحي الإلهي يعطينا تصوراً سليماً صحيحاً للعقيدة في أهم قضاياها وهي الألوهية، قال تعالى في أول ما نزل على رسوله (صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّم) : **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥))**(٢).

فالوحي أوضح وبيّن جميع موضوعات الميتافيزيقيا مما يحتاج الإنسان إليه، منها: قال تعالى في قضية الألوهية: **(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)**(٣). **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤))**(٤).

وقال تعالى عن الإنسان مبيناً أصله: **(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ)**(٥). **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)**(٦).

وقال سبحانه مبيناً الحكمة من وجوده: **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)**(٧).**(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)**(٨).

ويقول في حكمة خلق هذا الكون وعلاقة الإنسان به: **(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ)**(٩).

---

(١) د. عبد الله بن محمد القرني – المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، ط٢، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م، ص ٤٧٧.

(٢) سورة العلق، الآيات (١– ٥).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

(٤) سورة الإخلاص.

(٥) سورة ص، الآية (٧١).

(٦) سورة الحجر، الآية (٢٨).

(٧) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(٨) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٩) سورة الجاثية، الآية (١٣).

وحول مصير هذا الكون ونهايته يقول تعالى: **(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ)**[١].

وحول قيام الحياة الأخرى وانتهاء هذه الحياة الدنيا، يقول سبحانه: **(يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)**[٢].

وفي الحكمة من قيام الآخرة، يقول الله تعالى: **(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ)**[٣]. **(يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨))**[٤].

كما أن القرآن الكريم ذكر لنا بعض العوالم الغيبية المحيطة بالإنسان، أو ذات العلاقة به، مثل الملائكة و وظائفهم، والجن.

إن العقل البشري مهما كان مبلغه من العلم والذكاء وقوة الإدراك، عاجز عن معرفة حقائق الأشياء بشكل دقيق ونهائي، فهو عاجز عن معرفة النفس الإنسانية، حيث ان معرفة النفس لا تزال من أعقد مسائل العلم والفلسفة. والإنسان عاجز عن معرفة حقيقة الضوء وعن حقيقة المادة والذرات التي تتألف منها، والمادة ألصق بالإنسان.

قال العلامة الفلكي المشهور (كاميل فلامَريون) فى كتابه (القوى الطبيعية المجهولة): "نرانا نفكر، ولكن ما هو الفكر؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال؛ ونرانا نمشي، ولكن ما هو العمل العضلي؟ لا يعرف أحد ذلك .. أرى أن إرادتي قوة غير مادية، وأن جميع خصائص نفسي غير مادية أيضاً .. ومع ذلك فمتى أردت أن أرفع ذراعي، أرى أن إرادتي تحرك مادتي، فكيف يحدث ذلك؟ وما هو الوسيط الذي يتوسط للقوى العقلية فى إنتاج نتيجة مادية؟ يوجد من يستطيع أن يجيبني عن هذا أيضاً؟ بل قل لي: كيف ينقل العصب البصري صور الأشياء على العقل؟ وقل لي: كيف يدرك العقل هذا؟ وأين مستقره؟ وما هي طبيعة العمل المخي؟ قولوا لي أيها السادة (يريد الملحدين) .. ولكن كفى

(١) سورة الحاقة، الآيات (١٣ – ١٧).
(٢) سورة إبراهيم، الآية (٤٨).
(٣) سورة النحل، الآيتان (٣٨ – ٣٩).
(٤) سورة الزلزلة، الآيات (٦ – ٨).

كفى! فإني أستطيع أن أسألكم عشر سنين، ولا يستطيع أكبر رأس فيكم أن يجيب على أحقر أسئلتي".(١).

إذا كان العقل عاجزاً عن معرفة حقائق هذا الكون المنظور وفي عالم الشهادة، فكيف يستطيع معرفة ذات الله تعالى وإدراك كنهه؟ قال تعالى: **(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)**(٢).

وقصور العقل عن إدراك حقيقة الأشياء لا ينفي وجودها، فعجزه عن إدراك حقيقة النفس لا ينفي أنها موجودة، وكذلك سائر الأشياء التي يعجز العقل عن معرفة حقيقتها وإدراك كنهها.

والعقل مطالب بالنهوض، والإسلام يدعوه إلى التفكير والنظر: **(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)**(٣). **(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)**(٤).

ويعتب الله على الذين يجحدون نعمة العقل ولا يستخدمونه فيما خلق له وللبحث عن الحقيقة: **(وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)**(٥). **(وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ)**(٦).

وتعطيل العقل عن وظيفته يهبط بالإنسان إلى مستوى أقل من مستوى الحيوان، وهو الذي حال بين الأقدمين وبين النفوذ إلى الحقائق في الأنفس وفي الآفاق(٧)، قال سبحانه: **(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)**(٨).

فالعقل البشري إذن وحده ليس باستطاعته أن يبلغ بصاحبه ما فيه سعادته في هذه الحياة الدنيا اللهم إلا في القليل النادر، ولو ترك التشريع والتقنين لعقول البشر دون الإهتداء بهدي النبوة لاختلط الأمر

---

(١) سيد سابق – العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، دون سنة الطبع، ص ٣٧ – ٣٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية (١٠٣).
(٣) سورة يونس، الآية (١٠١).
(٤) سورة سبأ، الآية (٤٦).
(٥) سورة يوسف، الآية (١٠٥).
(٦) سورة يس، الآية (٤٦).
(٧) سيد سابق – المرجع السابق، ص ٢١.
(٨) سورة الأعراف، الآية (١٧٩).

عليهم في معرفة الخير والشر في معاملة بعضهم بعضاً، ولما أمكن التمييز بين الفضيلة والرذيلة والحسن والقبيح، وما استطاعوا تكملة أخلاقهم، وتزكية نفوسهم(١).

ولكل ما تقدم، كان العقل البشري محتاجاً في قيادة القوى الإدراكية البدنية إلى ما هو خير له في الدنيا والآخرة إلى مَنْ يُعينُه في تحصيل السعادة فيهما، وهذا المعين هو النبي (صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّمَ): **(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**(٢).

وكانت الشهادة بنبوة محمد (صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلّم) الركن الثاني من الشهادة بعد الإقرار بوحدانية الله، يشير القرآن إلى الركن الأول بآية: **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)**(٣). أما الركن الثاني فالقرآن يشير إليه بهذه الآية الكريمة: **(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)**(٤).

والمذاهب الإسلامية متفقة على عدم الإفتقار على المعارف العقلية، وقرروا حاجة العقل الإنساني إلى معين يستعين به في بيان وجه الاعتقاد بالله وصفاته وتحديد الأعمال وبيان النافع منها والضار ومعرفة ما يتعلق بالآخرة، وهذا المعين هو النبي – كما أشرنا إليه آنفاً –، ووافقهم في ذلك أكثر الفلاسفة وجميع المؤمنين بالشرائع السماوية، وخالف في ذلك بعض الفلاسفة كبراهمة الهند، حيث أنكروا النبوات والرسالات السماوية وقرروا عدم الحاجة إلى هدي النبوة واكتفوا بالمعارف العقلية فقط(٥).

الخاتمة

يستنتج الباحث من كل ما تقدم:

- أنّ العقل في الإسلام وسيلة ذات أهمية قصوى لا غنى عنها لفهم أسرار التشريع والكشف عن السنن الكونية، ممّا جعل العلاقة بين العقل والنقل علاقة تكامل وانسجام، وقد استخدم المسلمون

(١) د. رشدي محمد عليان و د. قحطان عبدالرحمن الدوري – المرجع السابق، ص ١٥٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية (١٦٤).
(٣) سورة محمد، الآية (١٩).
(٤) سورة الأحزاب، الآية (٤٠).

العقل للوصول إلى الحقيقة عبر منهج متكامل يربط بين الوحي والتفكّر، وذلك من خلال التدبّر في القرآن الكريم والكون، واعتماد البرهان العقلي والمنطق في العقائد، والاجتهاد الفقهي لاستنباط الأحكام وإعمال الفكر، وهو تطبيق عملي لزكاة العلم الذي ينميه ويثبته. لأنّ زكاة العلم لا تقتصر على بذله لمستحقيه، بل تشمل تعليمه ونشره للناس، ممّا يزيد العلم ولا ينقصه، فإعمال العقل وإجهاد النفس في العمل به ونشره يعدّان جزءاً أصيلا من زكاة العلم.

- أن العقليين – وهم يقدسون العقل –يرون أن العقل مصدر المعرفة في المجال العقدي والميتافيزيقي، أما عند تابعي الأديان السماوية القائمة على الوحي، فإن العقل مصدر المعرفة العلمية، ولا يمكن أن يكون مصدراً في المسائل الغيبية.
- ان العقل البشري عاجز عن الإستقلال في ميدان العقيدة، لأن العقل له حد يقف عنده، ومع أنّ العقل ميزان صحيح وأحكامه يقينية، غير أن أمور التوحيد والآخرة وحقائق الصفات الإلهية.. لا توزن بميزانه، لذلك رجع كثير من أصحاب هذا الإتجاه وأعلنوا هذه الحقيقة بعد أن ثبت عَجَز العقل في هذا المجال.
- تتميز المعرفة الإنسانية من منظور إسلامي بأنها معرفة محكومة بطريق الوحي، فهي طريق لإثبات وجود الله سبحانه والإقرار بنبوة النبي وفهم المعرفة التي جاء بها النبي من عند الله، والفطرة التي فطر الله الناس عليها تكون عوناً لصاحبها في معرفة الحقائق في هذا المجال.
- ان العقل البشري بحاجة في مجال العقيدة ومعرفة ما ينبغي أن يعرف من أحوال الآخرة والمسائل الغيبية، إلى معين، وهو النبي الذي يكون من جنس البشر، حتى يفهموا منه ما يقول وما يبيّنه من رسالته التي جاء بها من عند الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

-بعد القرآن الكريم

أولاً: باللغة العربية

أ- الكتب

١-ابن تيمية – درء تعارض العقل والنقل، إعداد ودراسة د. محمد السيد الجليند، ط١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.

٢-ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون – مقدمة ابن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

٣-أحمد إبراهيم علي الورتي (دكتور) – مشاريع الإصلاح في الشرق الأوسط بين طموحات الشعوب ومصالح الدول الكبرى دراسة تحليلية مقارنة، دار الزمان، دمشق، ٢٠١٢.

٤-تدبير المتوحد (ضمن رسائل ابن باجّة الإلهية)، تحقيق ماجد فخري، ط٢، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٩م.

٥-التفتازاني، سعد الدين التفتازاني – شرح العقائد المحشّى، ط ٢، انتشارات سيديان، مهاباد، ١٣٥٢هـ ش.

٦-راجح عبد الحميد الكردي (دكتور)– نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ط١، مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢.

٧-رسالة الوداع (ضمن رسائل ابن باجّة الإلهية)، تحقيق ماجد فخري، ط٢، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٩م.

٨-رسائل ابن باجّة الإلهية، تحقيق ماجد فخري، ط٢، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٩م.

٩-رشدي محمد عليان (دكتور) و قحطان عبدالرحمن الدوري (دكتور) – أصول الدين الإسلامي، ط٢، دار الإمام الأعظم النعمان بن ثابت، بيروت، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م.

١٠- سيد سابق – العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، دون سنة الطبع.

١١- عبد الرحمن بن زيد الزنيدي (دكتور)– مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

١٢- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني – العقيدة الإسلامية وأسسها، انتشارات صبا، طهران، دون سنة الطبع.

١٣- عبدالله بن محمد القرني (دكتور) – المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، ط٢، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.

١٤- مصطفى عبدالرازق – تمهيد لتأريخ الفلسفة الإسلامية، ط١، دار الكتاب المصرى، القاهرة و دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

١٥- عدنان سبيعي – الفلسفة من تأريخ الفكر الفلسفي، ط١، دار العصماء، دمشق، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م.

١٦- الغزالي، الامام أبو حامد الغزالي – القسطاس المستقيم، ط٤، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٧.

١٧- ماجد فخري (دكتور) – تأريخ الفلسفة الإسلامية، ط٢، دار المشرق، بيروت،٢٠٠٠.

١٨- محمد محمد الحاج حسن الكمالي (دكتور) – محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ط١، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

١٩- النشار، مصطفى حسن النشار(دكتور) – أعلام الفلسفة حياتهم ومذاهبهم، دارالمسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م.

٢٠- يوحنا قمير – ابن خلدون، ط٤، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٥.

٢١- يوحنا قمير – الفارابي، ط٤، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٥.

٢٢- يوسف كرم – تأريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، دون سنة الطبع.

ب – الموسوعات والقواميس

٢٣- بدوي، عبد الرحمن بدوي (دكتور)– موسوعة الفلسفة، ج١، منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٢٧ هـ.

٢٤- الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني – التعريفات، ط٢، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ١٣٦٦ هـ.ش.

٢٥- الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري – معجم الصحاح، دار المعرفة ، بيروت، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥م.

٢٦- الراغب الأصفهاني – معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢م.

٢٧- عبد المنعم الحفني (دكتور) – المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٨- الفيروز آبادي – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – القاموس المحيط، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٢٩- موسوعة المصطلحات الإسلامية، تأصيل وضوابط، مجموعة باحثين، الجزء الرابع، ط١، دار الأصالة للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة، إسطنبول/ تركيا، ١٤٤٥هـ ـــ ٢٠٢٣م.

ثانياً : باللغة الكوردية

٣٠- مسعود عبدالخالق- رةوشى فةلسةفى سةدةى ٢١، نووسينطةى تةفسير بؤ بلآوكردنةوة و راطةياندن، هةولير، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣ز.